جوانب إنسانية من الثورة الجزائرية 1955-1962
اللاجئون الجزائريون الى تونس أنموذجا

أ. محمد كراغل
med.kera@gmail.com
جامعة محمد الأمين دباغين سطيف -2-

تاريخ الوصول : 2018/03/22 القبول:2018/11/18النشر على الخط:.....
.....Received :.....l Accepted :.....l Published online :.....

الملخص:

كثيرا هي تلك الدراسات التي تناولت الثورة الجزائرية 1954-1962 في جوانبها السياسية والعسكرية، لكن الجوانب الاجتماعية ذات الطابع الإنساني تكاد تكون قليلة ، بالمقارنة مع حجم الثورة وأهميتها المحلية والدولية، فقد عاني الشعب الجزائري الويلات طيلة سبع سنوات ونصف من شتى أنواع التقتيل والتعذيب والتجويع والإرهاب والتشريد والتهجير و تحمل وحده عبئ هذا الضغط الرهيب.

هذا ما دفعني إلي دراسة حالة من هذه الحالات التي عبرت بصدق على معاناه هذا الشعب والمتمثلة في اللجوء او الهجرة القسرية نحو تونس والمغرب. حيث تكتسي حركة الهجرة طابعا إنساني ذو أهمية قصوى على عدة مستويات، ولعل ما يميز الجزائر هو أن غالبية الهجرات التي عرفتها في الفترة الحديثة- المرحلة الكولونيالية- هي هجرات قسرية ارتبطت بسياسة الاستعمار وأنماط الاستغلال، منذ 1830. واتضحت بشكل اكثر اثناء الثورة التحريرية والتي شكلت مأساة إنسانية حقيقية.

Abstract:

Many of these studies dealt with the Algerian revolution 1954-1962 in its political and military aspects, but the social aspects of the human nature are very few, compared to the The Algerian people size of the revolution and its local and international importance, have suffered for seven and a half years from various forms of killing, torture, starvation, and terrorism. Displacement and displacement alone bear the burden of this terrible pressure.

This led me to study one of these cases, which expressed honestly the suffering of this people represented by resorting to forced migration towards Tunisia and Morocco.

The most important migration of Algeria is that the majority of migrations of modern times - the colonial phase - are forced migrations associated with the policy of colonialism and patterns of exploitation, since 1830. It became more evident during the liberation revolution, which formed A true human tragedy.

الكلمات المفتاحية: الهجرة ، اللجوء، المحتشدات، المنطقة الحرام

المقدمة

الهجرة كظاهرة تاريخية[1] صورة بارزة من صور الحراك داخل المجتمعات ومظهر من مظاهر حيويتها وفاعليتها، وتكتسي أهمية بالغة لأنها في كثير من الأحيان تغير مسار المجتمع وتخرجه إلي سياقات جديدة، وقد شهد التاريخ المعاصر العديد من الهجرات كانت منطقتنا المغاربية جزءا مسرحا لها ، وتعتبر الجزائر نموذجا بارزا لهذه الظاهرة ، ولعل ما يميز الجزائر هو أن غالبية الهجرات التي عرفتها في الفترة الحديثة- المرحلة الكولونيالية- هي هجرات قسرية[2] ارتبطت بسياسة الاستعمار وأنماط الاستغلال كما يشير إليه عدي الهواري، فقد سقطت تحت السيطرة الاستعمارية مبكرا 1830 ومنذ هذا التاريخ بدأت حركة غير عادية للجزائريين نحو بلدان الجوار خاصة تونس والمغرب وحتى إلي بلدان المشرق العربي و أوروبا.

غيران ابرز صور الهجرة للجزائريين كانت أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، حيث اتخذت طابعا قسريا ، ميزه لجوء قرابة 400 ألف جزائري من سكان المناطق الحدودية وحتى بعض المناطق الداخلية نحو بلدان الجوار تونس والمغرب مثلت مأساة حقيقية تأثر بها العام أجمع، لذالك ارتأيت من الضروري البحث في أسباب هذه الهجرة القسرية خاصة فيما يتعلق بالأسباب التي دفعت إليها والتداعيات التي أفرزتها. وحتى نعطي الموضوع حقه التحليلي يجب أن نفتح بداية قوسا منهجيا يخص المفهومية لضبط المصطلحات المراد معالجتها.

الهجرة كما وردت في لسان العرب " الخروج من ارض إلى أرض أخرى... و كل من فارق أرضه وسكن بلد أخر فهو مهاجر..."[3] وبالتالي يكفي الإنسان أن يقوم بحركة الانتقال من مكان لأخر

[1]-الماجري عبد الكريم ، هجرة الجزائريين و الطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس (1831-1937)، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2010، ص 30.

[2]- كمال فيلالي، أشكال الهجرة السرية والهجرة القسرية في تاريخ المغرب الحديث، الهجرة بين الجزائر والمغرب الأقصى نموذجا، في إطار سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، **ملتقي الهجرة المغاربية المغاربية وأبعادها السوسيوتاريخية**، جامعة قسنطينة، 2014، ص 57.

[3]-ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994.

حتى يحصل على صفة مهاجرا، ولو اقتصرت إقامته علي مدة وجيزة.[1] وغالبا ما تدل على الاغتراب بالمعنى السوسيولوجي ، وهي تشمل كل أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.[2]

وتتعدد أشكالها وأنواعها تبعاً لاختلاف الأسباب الموجبة إليها والدوافع التي دفعت بالسكان إلى التحرك. وبالمقابل فان تياراتها وحجمها مختلف أيضا لاختلاف المسببات ومن هنا تعددت أنواع الهجرة، وطالما أن السكان هم في حركة ديناميكية مستمرة فمن المنطقي أن يتولد جراء تلك الحركات أنواع أخرى للهجرة أبرزها الهجرة القسرية.

اما اللجوء فهو ظاهرة قديمة ارتبطت بداية بالملجأ الديني ثم تطورت الى الملجأ الإقليمي ثم بعد ذالك إلى الملجأ الدبلوماسي تطورت هذه الصور عبر محطات التاريخ من حيث الأسس والشروط الواجب اعتمادها على المستفيدين منها.[3] واصل الكلمة من لجأ يلجأ والتجأ وألجأت أمري إلى الله، لاذ إليه معتصما، والملجأ هو المكان الذي يلتجأ إليه.[4] وكانت اتفاقية الأمم المتحدة عام 1951 الخاصة باللجوء قد عرّفت اللاجئ أنه هو الشخص الذي «وجد نفسه . وبسبب خوف له ما يسوّغه من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسه أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو بسبب آرائه السياسية . خارج البلاد التي يحمل جنسيتها، ولا يستطيع أو لا يرغب في حماية ذلك البلد بسبب هذا الخوف؛ أو كلّ من لا جنسية له وهو خارج بلد إقامته السابقة، ولا يستطيع، أو لا يرغب بسبب ذلك الخوف في العودة إلى ذلك البلد».[5]

1/-أسباب لجوء الجزائريين إلي تونس أثناء الثورة 1954-1962

أ/العلاقات الحدودية وتأثيرها علي ظاهرة اللجوء

إن منطقة المغرب العربي تمثل كتلة واحدة مشتركة في عدة عناصر ، كما تمثل امتداد جغرافيا واحدا، ونقصد بهذه المنطقة الجزائر،تونس ،المغرب و ليبيا و موريتانيا، إن هذه الحدود المشتركة جعلت التواصل بين هذه الأقطار في غاية السهولة، كما جعلت بينهما علاقات في جميع الميادين الاجتماعية الاقتصادية ،ال ثقافية وال سياسية، و علي امتداد زمن طويل والي فترة ما بعد الاستعمار ظل للجزائريين حضور بالقطرين التونسي والمغربي وان اختلفت أشكاله وأنماطه،

[1]-الماجري عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 31.

[2]-كمال فيلالي، المرجع نفسه، ص 59.

[3] تمار احمد برو، اللجوء السياسي بين النظرية والتطبيق في ضوء القانون الدولي العام، الطبعة الاولى، منشورات زين الحقوقية، صيدا، لبنان، 2013، ص 21.

[4]-ابن منظور، المصدر السابق،ص 342.

[5]-أحمد الرشيدي ، الحماية الدولية للاجئين، مركز البحوث والدراسات السياسية، الطبعة الاولى، القاهرة، 1997، ص 240.

مستمدا جذوره من الصلات والروابط التاريخية والثقافية والاجتماعية واللغوية السائدة في المنطقة. [1]

والمتمعن في المجال الجغرافي لبلدان المغرب العربي يلاحظ من الوهلة الأولي غياب حواجز طبيعية بين هذه الأقطار، ولذالك نجد صعوبة في تحديد العلاقات الحدودية فهي تتميز بالتشابك والتداخل التقارب الجغرافي و تلاقح الأنساب والتاريخ المشترك، ولم تكن يوما حاجزا في وجه الحركات البشرية، تكون هذه الأقطار فيما بينها وحدة و عنصرية و تاريخية، فقد انحدروا جميعا من أصل واحد، فارتبطت منذ القديم مصالحهم. [2]

فقد كانت هناك عدة محاولات للفصل بين هذه الأقطار عبر مختلف محطات التاريخ ووضع حواجز بينها، ففي العهد العثماني حاول باشوات الجزائر إقامة حدود للإيالة ، لكن تدفق الهجرات منها واليها ظل مستمرا، خاصة القبائل الممتنعة وبعض شيوخ الزوايا ، فالقبائل الحدودية لم تكن لتعترف بهذه الحدود خاصة وان الرابط بينها روابط أسرية واشتراك في العادات والتقاليد فلا يمكن التمييز بين سكان هذه الهوامش. [3]

واختصت الجزائر وتونس والمغرب الأقصى برقعة جغرافية جد إستراتيجية جعلتها تؤثر وتتأثر بجميع التطورات الحاصلة في العلاقات الدولية، ومع بداية القرن التاسع عشر تصاعدت الأطماع الاستعمارية ضد الأقطار الثلاث، ونظرا لحالة التردي والتفكك داخل الكيانات السياسية المتحكمة في الأقطار الثلاث سقطت تحت الهيمنة الاستعمارية حيث تم احتلال الجزائر في 1830م ثم سقطت تونس تحت الحماية الفرنسية في سنة 1881م، ليليهما المغرب الأقصى الذي خضع هو الآخر للحماية الفرنسية في سنة 1912م. [4]

وبدخول الاستعمار الفرنسي لعب دورا كبيرا في تخطيطها فبالنسبة للحدود الغربية أجبر المغرب علي توقيع اتفاقية لآلة مغنية بعد واقعة ايسلي1844، [5] اما عن الحدود الشرقية فقد عملت السلطات الفرنسية علي الضغط علي باي تونس من خلال تشكيل لجان مشتركة لترسيم

---

[1]- عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008،ص1.

[2]- الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى عين مليلة،1992 الجزائر، ص334

[3]-أنظر في هذا الصدد: عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في غفريقيا الشمالية، تر، محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1989.

[4]- فارس العيد، طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830-1847)، في مجلة عصور الجديدة- العدد 19 -20 ، أكتوبر 2015. ص330.

[5]- عكاشة برحاب، المجال الحدودى بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين 1900-1912، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص85.

الحدود خاصة في مراحل المقاومات الشعبية أين كان الثوار يهاجمون القوات الفرنسية ثم يلجئون إلي تونس مما وفر لهم الحماية [1] وقد بذلت السلطة الاستعمارية جهودا هامة من أجل ترسيم الحدود الشرقية مع تونس، نظرا لأهميتها ،و تجسدت العملية من خلال عدة محاولات متكررة .

إلا أن هذه المحاولات لم تضع معالم واضحة للحدود، إذ عند مقارنتها بالواقع تظهر تناقضات في الامتدادات و المعالم التي يمكن أن تكون حدودا، و بما أن الحدود الفاصلة بين الجزائر و تونس لم تكن سوى حدودا شكلية بسبب انعدام الحواجز الطبيعية و التجانس البشري، [2].وقد استمرت العلاقات الحدودية رغم الحواجز التي افتعلها المستعمروكذالك المتابعات العسكرية والقضائية ضد السكان في المناطق الحدودية وتطبيق فرنسا لمبدأ حق المتابعة للتدخل في تونسكما حدث في حادثة الاعتداء على ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري1958 لذالك وبمجرد استقلال تونس حدث تدفق للاجئين الجزائريين ما فتئ أن أصبح يشكل اكبر موجة لجوء بعد الحرب العالمية الثانية.

ب-الخوف:

يعتر هذا العامل النفسي السبب الأول في تدفق أعداد اللاجئين نحو تونس ،وهو ناتج عن لإجراءات القمعية التي تبنتها فرنسا عقب اندلاع الثورة التحريرية، حيث أقدمت على إعلان قانون الطوارئ والتهجير حتى تتمكن من القضاء على الثورة بسرعة, وشرعت في فريل 1955 في تطبيقه على الولاية الأولى المحاذية للحدود التونسية[3]وقد خول القانون السلطات العسكرية والمدنية صلاحيات مطلقة لاتخاذ الإجراءات التالية:

- النفي والإقامة الجبرية.
- تحديد تحرك الأشخاص ووسائل النقل في أماكن وأوقات معينة.
- مداهمة المنازل في كل الأوقات وتفتيشها.
- تشديد الرقابة على الصحافة والمنشورات ومختلف وسائل الإعلام المرئية والسمعية, مما يقوي سيطرة الحكومة على توجهات الرأي العام الفرنسي وحتى الجزائري.
- محاكمة الأشخاص المدنيين من قبل المحاكم العسكرية والاستثنائية, دون مراجعة أحكامها.[4]

وعمدت إلى استخدام كل الإجراءات الممكنة والمتوفرة لديها، ولم تستثن في سياستها القمعية والعقابية أي أحد، بل وسعتها لتشمل من دون تمييز المدنيين العزل من أطفال ونساء

[1] -Charles Monchicourt, frontières Algéro-Tunisienne dans le Tell et Dans La Steppe, in Revue Africaine, vol 82, 1938, p 45.

[2] -Charles Monchicourt, op.cit., pp 44-47.

[3] - أحسن بومالي, إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954- 1956, المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار, الجزائر, بدون سنة، ص- ص 179- 181.

[4] - غالي غربي, فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1962، غرناطة للنشر والتوزيع, الجزائر، 2009، ص 269.

وشيوخ[1]، فقد شنت عمليات عسكرية خاصة على القرى الجزائرية الواقعة على الحدود الشرقية مع تونس مابين مايو 1956 وجوان 1958 على كل من مشتة واد الحوت، خنقة عون، القالة، روم السوق، عين سماعي، النحالة وأم لعرايس وأم السكاك، وهو ما دفع بالآلاف من الجزائريين باللجوء إلى تونس خوفا من المداهمات الليلية والتعذيب والاهانة والموت. [2]

وقد استعملت فرنسا حتى الأسلحة المحظورة دوليا كالنابالم كما حدث في منطقة بني صالح [3] والقنابل المحرقة والقنبلة العشوائية. ولإبراز دلالة هذا الخوف نورد شهادة أحد الأطفال حيث يقول:"...أنا من مدينة سوق أهراس...في يوم من الأيام لما عدت إلي بيتنا وجدت إخواني قد قتلوا والنساء شردوا ولما توجهت إلى دوار عين نشمة وجدت جميع أقاربي قد قتلوا لذالك فررت إلى تونس...عندما كانوا يأتون يحيطون بالشخص، واحد من الأمام وأخر من الخلف وواحد من اليمين وأخر من اليسار والكل يضرب حتى يقتلونه...بعدها يحرقونه ثم يحرقون جميع الأكواخ..."[4] فهذه الشهادة تعبر بصدق عن حالة الخوف التي أصبح عليها الجزائريون خاصة الأطفال فما من سبيل إلا الفرار نحو تونس.

ج- الفرار من مراكز التجميع المحتشدات:[5]

أمام نجاح الثورة التحريرية, في توسيع مجالها وشموليتها لمختلف أنحاء الوطن خاصة بعد مؤتمر الصومام، أيقنت السلطات الاستعمارية أنه يجب التفكير في مناهج وطرق جديدة من خلالها تحرم الثورة من منابعها الأصلية التي تستمد منها استمراريتها وانتصاراتها, اهتدت السلطات الاستعمارية إلى أسلوب قمعي, كان النازيون قد جربوه على الشعوب التي احتلوها, والمتمثل في إقامة المحتشدات[6] أو المعسكرات والتي أطلق عليها تمويها "مناطق الأمان"وهذه الفكرة كانت مطروحة منذ 1956 بغرض تبعا لمتطلبات الحرب ضد الأعمال التي يقوم بها الثوار.[1]

---

[1]- عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية والثورة الجزائرية، مطبعة دار الشهاب، باتنة، بدون سنة، ص.124

[2]- جريدة الصباح التونسية، 1958/03/29، مأساة اللاجئين الجزائريين بالبلاد التونسية، ص3.

[3] - cahier de témoignage chrétien Xli, la faim au ventre, les réfugies algériens au Maroc et en Tunisie, éditions témoignage chrétien, Paris, 1960 p 17.

[4] Les enfants d'Algérie, témoignages et dessins d'enfants réfugies en Tunisie, en Libye et au Maroc, éditions François Maspero, Paris, 1962, p27.

[5]- هي أماكن نائية يتم فيها تجميع السكان ليصعب الاتصال بالمجبرين على الإقامة فيها, بعد ترحيلهم من قراهم و مداشرهم, ويتم إحاطة المحتشدات بالأسلاك الشائكة التي تعلوها أبراج عالية للمراقبة,وتحرسها قوة من الحركة والقومية و مصالح الشؤون الأهلية,وقد أنشأت طبقا للمادة السابعة من قانون حالة الطوارئ الذي يسمح لوزير الداخلية وحتى الوالي العام بنفي أي مشبوه إلى هذه المحتشدات.

[6]-بدأت فرنسا بانشاء مراكز التجميع والمحتشدات منذ انطلاق الثورة، انظر جريدة المجاهد بتاريخ 03-07-1961 ،صص8-9. وانظر ايضا:

فقامت القوات الفرنسية بتهجير سكان الريف من مساكنهم وتجميعهم في محتشدات قريبة من مراكزها العسكرية, حتى تضمن الفصل التام بين الشعب وجيش التحرير, وهكذا اخذ يرتفع عدد المرحلين من "335 ألف" في سبتمبر 1958, و "740 ألف" في شهر أكتوبر 1958 إلى أكثر من مليون في شهر أفريل 1959 وقد استمر المستعمر في سياسة التهجير إلى المحتشدات, حتى وصلت في أول ديسمبر 1960, إلى "مليون وستمائة ألف" محتشد, ووصل العدد الإجمالي لهذه المحتشدات إلى "3462", منها "1200" قد سماها المستعمرون بالقرى الجديدة.[2] وقد شهدت المنطقة الحدودية مع تونس إقامة العديد من المحتشدات مثل محتشد سالين بالقرب من عنابة و محتشد الماء الأبيض ومحتشد الشريعة بتبسة.

كان لهذه العملية انعكاسات خطيرة على المرحلين على المستوى الاقتصادي و الاجتماعي و حتى النفسي، حيث لم يجد المرحلون في مواطنهم الجديدة - في المحتشدات ظروفا أحسن. لقد حطمت حيلتهم الاقتصادية تحطيما كاملا وقضت على مواردهم،[3] وساءت أحوالهم أكثر لقلة فرص العمل وانعدام المرافق والخدمات الصحية ونقص الغذاء فقد ذكرت يومية Le Monde في أحد تقاريرها حول الموضوع بأن الدعم الذي كانت تقدمه الهيئات الوصية على مراكز التجميع لا يتجاوز 120 غ من الفرينة للفرد الراشد ، وفي بعض الأحيان ينقطع تماما .[4] إن فقدان الناس لأرزاقهموإهمال عنصر الملائمة الاقتصادية عند إقامة مراكز التجميع وفجائية عمليات الترحيل في حد ذاتها ، أدى إلى ارتفاع نسبة الوفيات ، خاصة في فئة الأطفال والمسنين ، حيث تؤكد الإحصائيات أن عدد الأطفال الذين يتوفون يوميا هو 500 طفل بمعدل وفاة طفل كل يومين في كل محتشد يقل عدد قاطنيه عن 1000 فرد ، وترتفع النسبة كلما زاد عدد سكان المحتشد.[5]

يضاف إلى هذه الأوضاع الصحية والمعيشة المتردية ، هناك الآثار النفسية الخطيرة فالخصائص العمرانية للمحتشدات[6] تتطابق إلى حد كبير مع تلك الموجودة في السجون ، فهناك

A.O.M, série Ministère d'État chargé des affaires algériennes (1873-1964), sous série Ministres, secrétaires d'État et secrétaires généraux chargés des affaires algériennes : cabinet et services rattachés. (1955-1964) boite 81f/ 107 rapport Les réfugies en Algérie, p1

[1] - A.M.A.E.E, Série Secrétariat d'état aux affaires Algériennes 1959-1967 (260Qo et 261Qo), Sous série : réfugies algériens, carton 29, rapport sur les centres de regroupement en Algérie, p3.

[2] - محمد لحسن أزغيدي, المرجع السابق, ص 202.

[3] - جريدة المجاهد، مراكز التجميع عار ابدي في تاريخ فرنسا، 1961/07/03، ص ص 8-9.

[4] -Grégor Mathias, Les sections administratives spécialisées en Algérie: entre idéal et réalité (1955-1962), L'Harmattan 1998, pp , 73-74 .

[5] - Michel-Rocard , rapport sur les camps de regroupement et autres textes sur la guerre d'Algérie , éd, Fayard , 2003 , p 126.

[6] - انظر الملحق رقم1 مخطط المحتشد، المصدر

السياج الشائك وصوامع الحراسة.[1] وكل هذه الإجراءات غيّبت الحرية التي ظل يتمتع بها سكان الريف وقد أورد الباحث Michel Cornaton في كتابه (محتشدات الثورة الجزائرية) شهادة لعجوز يدعّم هذا الأمر فتقول "لقد جرجروا كل الرجال إلى السجون وهاهم يرغموننا نحن النسوة والأطفال والعجزة على بناء سجوننا بأيدينا ، وليتهم ما منعوا عنا حساء المساجين ...".[2]

لم يتوقف الأمر عند الأمراض الجسمانية الكثيرة بل تطور إلى الأمراض النفسية والعصبية ، ذلك أن اجتثاث الناس من مواطنهم ومساكنهم وحياتهم المألوفة ثم توزيعهم في بيئات غريبة عنهم وحشرهم في معسكرات مسيَّجة في ظروف اقتصادية هشة ، كان له بالغ الأثر على توازنهم وحياتهم النفسية و الاجتماعية ، فبين عشية وضحاها أصبح هذا الإنسان الريفي الذي كان يتمتع بحماية العرش والأسرة أصبح عاريا من كل حماية ، يعيش الفواجع ليلا ونهارا.[3]هذه المعاناة هي التي دفعت بالآلاف من الجزائريين ليس في الناطق الحدودية فقط بل حتى المناطق الداخلية كناحية سطيف و قسنطينة و سكيكدة...إلى اللجوء إلي تونس.

د-المنطقة الحرام:

المناطق المحرمة[4]، وهي المناطق التي أعتبرت إستراتيجية بالنسبة لجيش التحرير الوطني خاصة في علاقته بالشعب ، ولذلك عمدت السلطات الاستعمارية إلى اعتبارها مناطق محرمة ZONES INTERDITES أي إخلائها من كل شيء أو بالعبارة الفرنسية من كل ما يتحرك، وصادق مجلس الوزراء الفرنسي في اجتماع 19فبراير1958 على إنشاء منطقة جديدة[5] محرمة بين الجزائر وتونس[6] تشمل المناطق الحدودية الشرقية من الحدود التونسية إلى عنابة وتوازي خط السكة الحديدية الرابط بين عنابة وتبسة إلى غاية نقرين في الجنوب.[7]

أعلنت الحكومة الفرنسية عن إجلاء السكان في هذه المنطقة في اجل أقصاه ثمانية أيام كما صرح وزير الدفاع الفرنسي شابان ديلماس Jacques Chaban-Delmas وحددت عددهم ب 70 ألف نسمة، غير أن الواقع و الإحصائيات الرسمية الفرنسية لسنة 1954 تشير إلى أن عددهم أكثر

A.M.A.E.E , Série Secrétariat d'état aux affaires Algériennes 1959-1967 (260Qo et 261Qo), Sous série : réfugies algériens, carton 29, op.cit p30.

[1] - Michel Cornaton, les camps de regroupement de la guerre d'Algérie, éd, l'Harmattan, 1998, p, 92.

[2] - Grégor Mathias, op cit , p , 126

[3] - Pierre-Vidal-Naquet, les crimes de l'armée française en Algérie, Ed, la Découvert, 2001, pp, 43-44.

[4] - انظر خريطة المنطقة الحرام على الحدود الشرقية الملحق رقم2.

[5] -المناطق المحرمة سياسة دشنتها فرنسا منذ بداية الثورة حيث صدر أول قرار بإنشاء منطقة محرمة في الاوراس بتاريخ 12 نوفمبر 1954 وكل مرة توسع مجالها، حتى شملت مناطق واسعة من الجزائر مساحاتها بآلاف الكيلومترات، انظر جريدة المجاهد بتاريخ 15-03-1958، ص5.

[6] - جريدة الصباح التونسية، المصدر السابق.

[7] -يبلغ طولها 400كم وعرضها 30كم إلى 50كم.

من
335 ألف نسمة يضاف اليهم نسبة الولادات حديثة العهد 30 الف نسمة[1] اي مجموع ما يقارب 365 ألف نسمة.

لقد تعامل الاستعمار الفرنسي بوحشية لا نظير لها تجاه السكان في هذه المناطق فهذه شهادة أحد المجندين يقول:"... كنا في عملية تمشيط في منطقة محرمة حديثا فصادفنا مخيما لمجموعة من الرحل ، فأمر النقيب بحرق المخيم وإعدام الرجال بإطلاق الرصاص على رؤوسهم ما ذنب هؤلاء البدو إن كانوا لا يعلمون بقرار تحريم المنطقة ، عندما أستعيد هذه الذكرى تقفز إلى مخيلتي صور الوجوه الحزينة للنسوة والصبية الذين تركناهم وسط خيم مشتعلة ، وجثث برؤوس مفتتة بلا ماء ولا معيل ... "[2] ويقول في موضع آخر:"... في منطقة الأوراس نجتاز دائما قرى ومشاتي مهجورة لأنها تقع ضمن المنطقة المحرمة ، غالبا ما تكون مخربة بفعل القنبلة والنيران ، وكثيرا ما نصادف جثثا محللة لأشخاص وبغال تنبعث منها رائحة كريهة هي في الواقع قوافل باغتتها الطائرات الحربية الاستكشافية بنيرانها ..."[3]

إن من بين أهم تداعيات اقامة المناطق المحرمة هو عملية التهجير القصري الذي أدي إلى انهيار الاقتصاد الريفي الذي كان يؤمن الحدود الدنيا لمعيشة سكان الريف ، فقد شهد على ذلك الجنرال بارلانج Parlange قائلا:" ... لقد قمنا بعملية تجميع للفقر وحولناه إلى ظاهرة مزمنة مرعبة ... مصادر العيش اندثرت ، قطعان الماشية اختفت ... وسائل الإنتاج أصبحت تحت طائلة الإهمال والضياع ...أراضي بعيدة ، حيوانات بيعت ، إنه الخراب التام . المرحلون الذين أصبحوا يعيشون هذا الوضع المزري يحملوننا المسؤولية وينتظرون أن نوفر لهم ظروف العيش المقبولة ... " [4]

هذه الشهادة تبرز بحق الآثار السلبية للمنطقة الحرام وحرب الإبادة الجماعية ضد 350 ألف من الشعب الجزائري، حيث كانت السلطات الفرنسية ترمي المناشير بالطائرات تأمر السكان بإخلاء الأماكن والالتحاق بمراكز التجميع فلم يجد هؤلاء سوى الفرار من هذه المنطقة ومن القنابل والحرائق والاغتصاب والمجاعة، واللجوء إلي تونس بحثا عن الأمن والأمان، لكن الأسلاك الشائكة والخط المكهرب سيكونان بالمرصاد، سعداء هم أولائك الذين يتمكنون من اجتياز الحدود ويجدون ملجأ بالبلاد التونسية[5]

هـ/سياسة التطويق وأثرها علي عمليات اللجوء

---

[1]-جريدة الصباح، المصدر السابق.

[2] - Pierre-Vidal-Naquet. Op.cit.

[3] - ibid., p 67.

[4] - Michel Cornaton , LES CAMPS DE REGROUPEMENT DE LA GUERRE D'ALGÉRIE, Préface de Germaine Tillion - Postface de Bruno Etienne, éditions l'harmattan Paris. 1998, p93.

[5] - جريدة الصباح التونسية، المصدر السابق.

عند اندلاع الثورة التحريرية حاول الاستعمار دون هوادة منع التسليح والتموين عن الثورة وعزل الشعب الجزائري عنها وعن قواعده الخلفية في القطرين التونسي والمغربي، وعن العالم العربي ككل، فلجأت إلى مخططات استعمارية عسكرية كجمع الجيوش من تونس والمغرب والهند الصينية مما أدى إلى اشتداد المعارك على الحدود وكان النصرة لجيش التحرير 1956، واستمرت قوافل التسليح والدعم من التراب التونسي عبر مدن وقرى تالة، تاجروين، الساقية نحو سوق أهراس، ومن توزر وتمغزة نحو الجنوب الشرقي خاصة بئرالعاتر ونقرين، وقد أصبح هذا الوضع مقلقا وهاجسا للجيش الاستعماري وقادته، ففكروا في بناء سد شائك ومكهرب وملغم يكون مدعوما بقوات برية وجوية ضخمة ، على طول الحدود الشرقية والغربية الجزائرية

و مهدت فرنسا لنجاح سياستها العسكرية الجديدة بحملة دعائية واسعة النطاق حيث جندت لها جميع الوسائل المادية، المعنوية و البشرية للقضاء على الثورة الجزائرية بحيث اعتبر هذا الإنجاز وسيلة وابتكار جديد و فعال كفيل بالقضاء على التمرد. [1] و هذا ما يفسر لنا حماس الساسة العسكريين الفرنسيين لهذا المشروع، فكان الشروع في انجازه خط موريس [2] خلال شهر جويلية 1956ابتداء من مدينة عنابة إلى مدينة تبسة، ثم تقرر تمديده إلى جنوب مدينة نقرين بجنوب تبسة.[3]

ولعل هذا المشروع الضخم يعد من أهم الاستراتيجيات التي طبقتها السلطة الاستعمارية ضمن سياستها العسكرية الرامية إلى القضاء على الثروة التحريرية بعزل الشعب داخليا وخارجيا، ومنع الدعم من الدول الشقيقة المجاورة خاصة تونس، حيث أرغمت أكثر من 280.000 جزائري على اللجوء إلى تونس لتجنب حالة الحصار المفروض.

---

[1] -Mohamed Tegia, L'Algérie en guerre, O.P.U. Alger, P 268

[2] -خط موريس تعود فكرة إنشاء هذا الخط إلى وزير الدفاع في حكومة بورجيس مونوري الفرنسي "أندري موريس "الذي اقترح إنجاز خط مكهرب يفصل الجزائر عن الحدود الجزائرية التونسية في نهاية 1956م و بداية عام 1957م، وبعد مصادقة البرلمان الفرنسي على هذا المشروع أصبح يحمل إسم صاحبه "خط موريس "و انطلقت فيه الأشغال في أوت 1956م في مناطق متعددة، يمتد الخط من الجهة الشرقية على مسافة 320كلم من عنابة مرورا بين مهيدي، فالذرعان، شيحاني، دريان، ليتفرع بعدها لحماية الطريق و السكة الحديدية و يمتد حتى بوقموزة، بوشقوف إلى تبسة بإتجاه الكويف، بئر العاتر فسوق أهراس ليمتد نحو الصحاري بواسطة أجهزة الرادار، أما عن الجهة الغربية فقد إمتد من بورساي حتي تلمسان، مشرية وعين الصفراء و، القصور ليصل إلى إيقلي جنوب بشار مغطيا بذلك مسافة تقدر ب 700كلم، كما يتراوح عرض الخط بين 6إلى 25متر حسب نوعية الأرض، أما ارتفاعه فحوالي مترين، يتكون من شبكة من الأسلاك الكهربائية الشائكة الدائرية و أخرى ممتدة أفقيا وعموديا مدعمة بأسلاك مكهربة تصل قوتها إلى 12000فولط، انظر: - طاهر سعيداني: مذكرات الرائد طاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النبض، ط1: دار الطباعة للنشر و التوزيع، ، الجزائر ، 2001، ص ص - 123.122.

[3] - يوسف مناصرية :الأسلاك الشائكة وحقول الألغام، طبعة خاصة بوزارة ا اهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في 09.، الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، ص08

2/- تطور إعداد اللاجئين ومناطق تواجدهم في تونس

يكننا أن نميز بين مرحلتين أساسيتين عند تتبع موجة الهجرة القسرية –اللجوء- الجزائرية نحو تونس:

المرحلة الأولى ماقبل1956: وهذه تميزت بلجوء محدود في شكل أفراد ومجموعات بأعداد قليلة، حيث يفر السكان بعائلاتهم وأموالهم وماشيتهم دون أية ضغوط ، حفاظا على أرواحهم ورفضا للتعامل مع سلطات الاحتلال الفرنسي، فهو لجوء عشوائي. وهؤلاء جاؤو من مناطق شتى مثل الأوراس وتبسه ونواحي قسنطينة وسطيف وحتى منطقة القبائل.[1]

المرحلة الثانية ما بعد 1956الى 1962: وهذه المرحلة تميزت بالاجتياح لأعداد كبيرة من اللاجئين للحدود التونسية بعد إقدام فرنسا على مشروع تطهير منطقة الحدود الشرقية بإحداث المناطق المحرمة وتوسيع العمليات العسكرية، فأصبح سكان هذه المناطق من القالة شمالا حتى الصحراء جنوبا مهددين بالمطاردة والقتل، فاضطر الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال إلى الفرار.

أما فيما يخص أعداد هؤلاء اللاجئون فهناك تضارب بين مختلف أطراف النزاع فالسلطات الفرنسية تقدم أرقاما تفصل فيها بين الجاليات الجزائرية الموجودة بتونس قبل اندلاع الثورة ولذالك في تقدم رقما ضئيلا لا يتجاوز 50الف وتطلق عليه اسم les musulmans français d'Algérie وهى تتحاشى لفظ اللاجئين لتجنب الضغط الدولي،[2] اما جبهة التحرير الوطني فتقدم ارقاما حسب الجدول التالي:[3]

السنوات	عدد اللاجئين
اكتوبر 1957	60000لاجئ
اكتوبر 1958	70000لاجئ
اكتوبر1959	150000لاجئ

نلاحظ إن أرقام جبهة التحرير اكبر بثلاثة أضعاف من تلك التي قدمتها السلطات الفرنسية وهذا يدخل في إطار حرب الأرقام بين الطرفين المتصارعين. حيث تتهم فرنسا الجبهة وكذالك تونس بتضخيم العدد لأبعاد سياسية خاصة من اجل لفت انظر هيئة الأمم المتحدة وكذالك الري العام الدولي، والدليل ان كثير من الدول حتى الغربية مثل هولندة قامت بحملات إغاثة لصالح اللاجئين.[4]

[1] Jamal Haggui, le FLN en Tunisie et ses nouveaux enjeux de décolonisation 1957-1962 in colloque international sur la révolution algérienne et sa relation avec le mouvement de libération régional et international, faculté de sciences humaine et social, université de Guelma, 2011, p03.

[2] - A.M.A.E, Série Secrétariat d'état aux affaires Algériennes 1959-1967 (260Qo et 261Qo) , Sous série : réfugies algériens, carton 29, note sur le problème des refugies ,pp1-4.

[3] - جريدة المجاهد، بتاريخ 16-11-1959، ص8.

[4] -في هذا الصدد انظر:

أما فيما يتعلق بمواطن توزيعهم، فقد احتضنت المناطق الحدودية الغربية لتونس نسبة 95/ بينما كلما توجهنا نحو المناطق الداخلية تقل النسبة وهذا يدل على أن هؤلاء اللاجئين يبحثون عن الأمن فقط، وفروا من جحيم الحرب. وقد اوردت جريدة الصباح توزيعهم بالقطر التونسي بتاريخ مارس 1958 على النحو التالي:[1]

المدينة	عدد اللاجئين	المدينة	عدد اللاجئين
تونس وضواحيها	4087	قفصة	10529
بنزرت	80	توزر	2000
باجة	274	القيروان	314
سوق الاربعاء	11000	سوسة	511
الكاف	35000	الوطن القبلي	166
سبيطلة	8465	صفاقص	718
قابس	12	المجموع	73147

بينما قدم الطرف الجزائري في شهر أكتوبر 1959 توزيعهم على النحو التالي:[2]

المدينة	عدد اللاجئين	المدينة	عدد اللاجئين
قفصة	9014	منزل بورقيبة	83
توزر	2450	باجة	490
سبيطلة	25368	سوسة	387
سوق الاربعاء	40323	صفلقص	200
الكاف	49449	بنزرت	282
تونس	2541	زغوان	220
نابل	13	المجموع	128850

نلاحظ تزايد اعداد اللاجئين فرارا من المناطق المحرمة والمحتشدات ومن الظلم والتنكيل والتعذيب.

3/- تداعيات الهجرة القسرية –اللجوء- إلى تونس: أن الغاية من هذه الورقة البحثية هي البحث في أسباب هذه الهجرة القسرية التي اتخذت طابع اللجوء على اعتبار انها خرجت من نطاق الحدود الدولية ولذالك جاء التفصيل في أسبابها أما عن التداعيات اتخذت أبعاد سياسية ليس على المستوى المحلي بل علي المستوى الإقليمي تونس والمغرب وكذالك على المستوى الدولي خاصة هيأة

Niek PAS « Sauvez un enfant ». Le soutien humanitaire néerlandais aux réfugiés algériens pendant la Guerre d'Algérie 1954-1962, in revue insaniat , n°s 65-66, juillet - décembre 2014, p. 143-15

[1]- جريدة الصباح التونسية، المصدر السابق.

[2]-عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة،ج3، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ص20.

الأمم المتحدة التي جدولت القضية في العديد من دوراتها لكن الذي يهما هو تداعياتها على البلاد التونسية.

لقد نوهت جبهة التحرير الوطني علي لسان احد قادتها أحمد بومنجل في تقرير للحكومة المؤقتة بالجهود التونسية من تسهيلات كبيرة للاجئين حيث دمجت بغضهم في الادارة، كما ساعدتهم في استخراج الوثائق الادارية، ومع ذالك فإن حضور هؤلاء اللاجئين الذين يزداد عددهم يوم بعد يوم يسبب للحكومة التونسية مشاكل خطيرة.

1)- مشاكل ذات صبغة اقتصادية: فقد وجدت الحكومة التونسية نفسها ملزمة بتقديم المساعدات الغذائية وتوفر لهم الرعاية الصحية خاصة إذا علمنا أن غالبية اللاجئين يصلون إلى تونس في حالة مزرية جراء الإصابات والأمراض...الخ. علما أن الاقتصاد كان مازال في حالة حرجة[1]. ومع ذالك فان الشعب التونسي قدم صور رائعة للتضامن،حيث أقدمت العديد من العائلات التونسية باستقبال اللاجئين، والتبرع بالمواد الغذائية والألبسة والأغطية و الافرشة، زمن صور التضامن نورد هذه الحادثة، ففي احدي دور اليتامى للأطفال اللاجئين- دار ياسمينة- الذين كانوا يمثلون أكثر من 60/ [2]"... يذكر أنه بدار للأيتام في يوم عيد الأضحى ولم يكن لهؤلاء الأطفال ما يضحون به وهم في تلك الحالة من اليأس وإذا برجل تونسي يدخل عليهم بكبش... فبعث السرور في تلك الوجوه البريئة..."[3] فكم بعث من هؤلاء التونسيين من آمل في تلك الأعداد الكبيرة من اللاجئين وهي صور للتضامن بين الشعبين.

2)- مشاكل ذات صبغة داخلية إذ يتحتم على اللاجئين الانغماس في الأوضاع الاجتماعية والسياسية التونسية، كما يجب على السلطة التونسية أن تمنع نشوب الحوادث خاصة بينهم وبين الجيش الفرنسي والتدخل لدى الهيئات الدولية لحمايتهم. زيادة على مشاكل طرحت بعد عودة هؤلاء اللاجئين كوثائق الحالة المدنية والروابط الاجتماعية وحتى الاملاك وكيفية تحويلها.

الخاتمة: نخلص في نهاية هذا الورقة البحثية جملة من النتائج على النحو التالي:

إن هذه الهجرة القسرية للجزائريين نحو تونس كانت لجوء جماعي أكثر من كونه فردي حيث تشمل جميع الفئات العمرية للسكان، كما أنها هجرة إجبارية ليست اختيارية دفعت إليها عدة أسباب قاهرة أولها الخوف من سياسة الترهيب والتقتيل والإهانة، ثم الفرار من المحتشدات التي كانت عبارة عن تجمعات للموت البطيء لحرمانها هؤلاء من حق العيش بحرية خارجة عن إرادة السكان، ثم جاءت سياسة إقامة المناطق المحرمة التي جردت هؤلاء اللاجئين من مصادر رزقهم ومساكنهم خاصة إن معظم هؤلاء في المناطق الحدودية كانوا يعيشون على الرعي.

[1]- جريدة الصباح التونسية، المصدر نفسه.

[2] Abderrahmane Naceur, Les enfants de Frontières, entreprise nationale du livre, Alger, 1983, pp89-98

[3] -ibid.

أن اللجوء إلى تونس كان يمثل بالنسبة إليهم أخر فرصة للبقاء من جهة زيادة على عامل مشجع وهو استقلال تونس من جهة والروابط التاريخية من جهة ثانية كانت محفزة على اللجوء وإشكالية عدد هؤلاء اللاجئين حيث حاول كل رف استغلاله لصالحه حيث اعتبرت فرنسا عددهم قليل وأنهم فروا من إرهاب الفلاقة ومن جهة الجبهة ضخمت العدد واستعملتهم كحرب دعائية لتدويل المشكل الجزائري واستعطاف الرأي العام العالمي.

انه لجوء عشوائي غير منتظم خضع بشكل كبير لمعطيات الحرب فكثير منهم استقر غير بعيد عن المواطن التي كان يسكنها في أرضه يراقبها وينتظر وقت العودة.وأن تداعياتها كانت بالدرجة الأولى إنسانية حقيقية تعاطف معها الرأي العام المحلي والدولي، لكن معاناة هؤلاء اللاجئون وحجم مشاكلهم كانت اكبر خاصة العبء على البلاد المستقبلة تونس حيث أفرزت صعوبات إدارية واجتماعية.

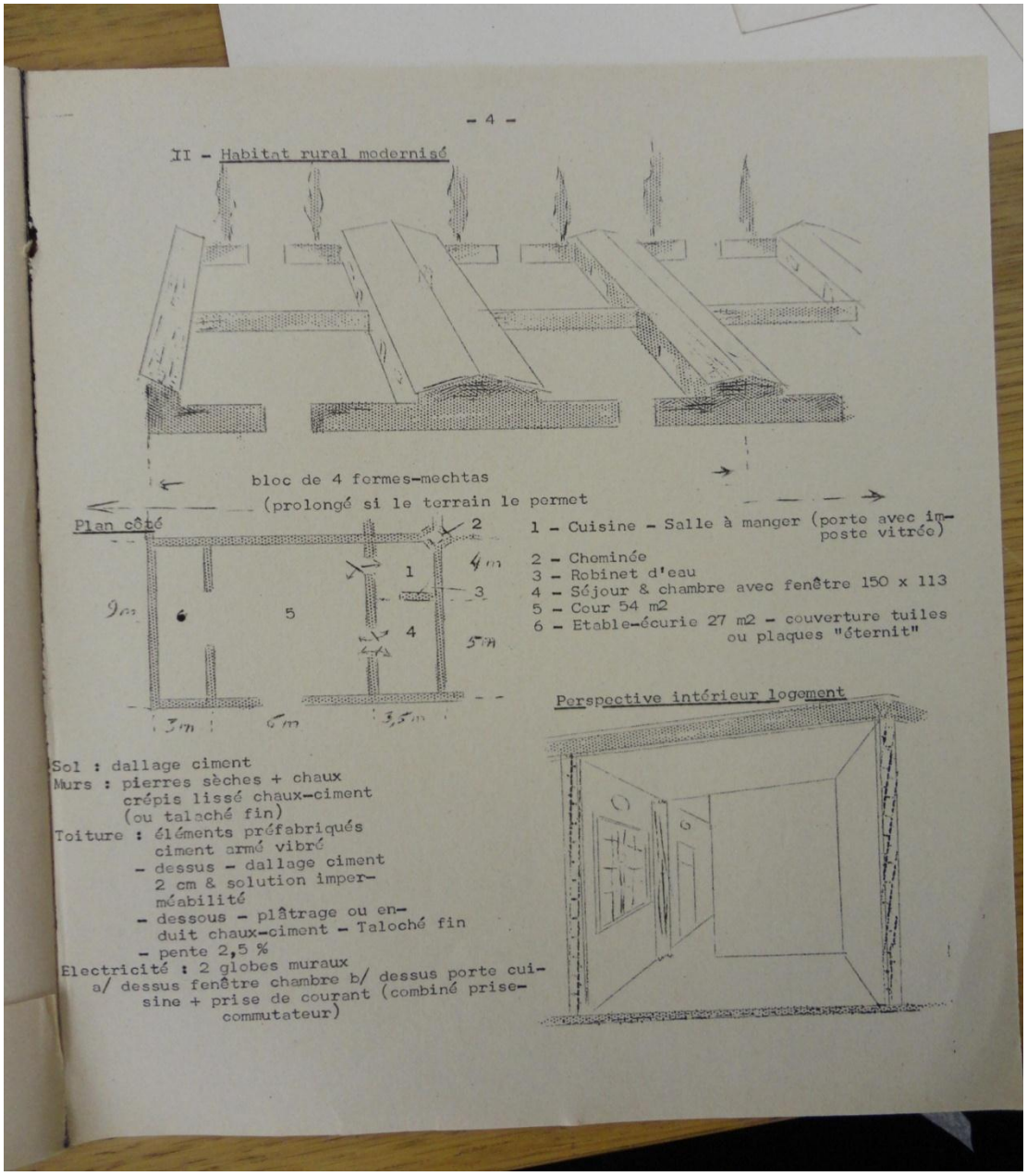

مخطط المحتشد المصدر:

A.M.A.E, Série Secrétariat d'état aux affaires Algériennes 1959-1967 (260Qo et 261Qo), .
Sous série : réfugies Algériens, carton 29, rapport sur les centres de regroupement en Algérie

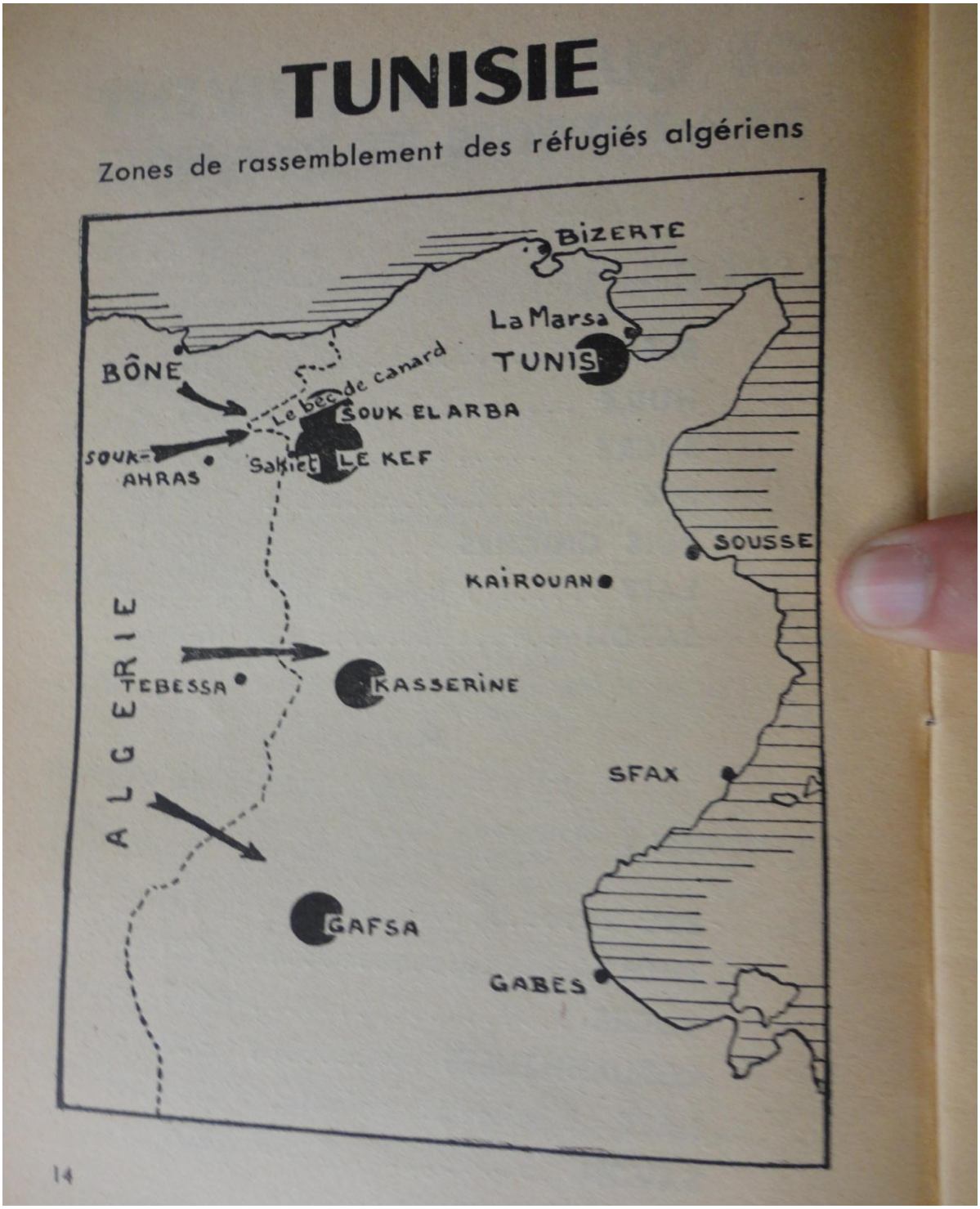

خريطة تبين مناطق تواجد اللاجئين الجزائريين بتونس المصدر

Cahier de témoignage chrétien Xli, la faim au ventre, les réfugies algériens au Maroc et en Tunisie p30.

صورة معبرة عن تعاسة هؤلاء اللاجئين

قائمة المصادر والمراجع :

- Abderrahmane, N. (1983). Les enfants de Frontières. Alger: entreprise nationale du livre.
- Cornaton, M. (1998). LES CAMPS DE REGROUPEMENT DE LA GUERRE D'ALGÉRIE. paris: éditions l'harmattan.
- Rocard, M. (2003). rapport sur les camps de regroupement et autres textes sur la guerre d'Algérie. paris: éditions, Fayard.
- Mathias, G. (1998). Les sections administratives spécialisées en Algérie: entre idéal et réalité (1955-1962), . paris: L'Harmattan .
- تمار ا. ب. (2013). اللجوء السياسي بين النظرية والتطبيق في ضوء القانون الدولي العام، الطبعة الاولى، ،. صيدا، لبنان: منشورات زين الحقوقية، .

- سعيدانيا. (2001). مذكرات الرائد طاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النبض، . الجزائر: دار الطباعة للنشر و التوزيع.
- أحسن ب. (2002). إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954- 1956 . الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.
- الماجري ع. ا. (2010). هجرة الجزائريين و الطرابلسية والمغاربة الجواونة إلى تونس (1831-1937)، ،. تونس،: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.
- غربيغ. (2009). فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1962. الجزائر: غرناطة للنشر والتوزيع،.
- برحابع. (2002). المجال الحدودى بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين 1900-1912، . المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،.
- Vidal-Naquet, P. (2001). , les crimes de l'armée française en Algérie. paris: Ed, la Découvert.